حماية البيئة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية
من حفظ الضروريات إلى تحقيق الاستدامة

Environmental protection in light of the objectives of Islamic law: from preserving necessities to achieving sustainability

د صورية عائشة باية بن حسين
أستاذ محاضر –أ–
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة –

الملتقى الدولي الأول حول:
حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة
بين تجليات الواقع ورهانات المستقبل
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد –كلية الحقوق والعلوم السياسية –
27أكتوبر 2025م.

الملخص:

البيئة هي الإطار الذي يحتضن حياة الإنسان ويؤثر في أنشطته، غير أن التحديات البيئية الراهنة كالتلوث وتغير المناخ تهدد التوازن الكوني وحقوق الأجيال القادمة. ويأتي البعد المقاصدي للشريعة الإسلامية ليقدّم رؤية قادرة على حماية البيئة من خلال حفظ الضروريات الخمس، التي لا تتحقق إلا في بيئة سليمة. كما أكدت النصوص الشرعية مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض، مما يجعل حماية البيئة أمانة ومسؤولية شرعية. ولا تقتصر العناية البيئية على مواجهة التلوث فحسب، بل تشمل ترسيخ العدالة الاجتماعية وصون الكرامة الإنسانية. ومع تراجع الوعي البيئي في العالم العربي والإسلامي، تبرز الحاجة إلى استثمار مقاصد الشريعة لترسيخ وعي بيئي متوازن يحقق التنمية ويحفظ حقوق الأجيال المقبلة.وقد انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: حماية البيئة امتداد لمقصد حفظ النفس (من الأخطار البيئية)، وحفظ المال (من إهدار الموارد)، وحفظ النسل (من الإضرار بحق الأجيال القادمة)، بل وحتى حفظ الدين)لأن الفساد في الأرض منافٍ للعبودية.

الكلمات المفتاحية: مقاصد –بيئة – استدامة.

ABSTRACT

The environment is the framework that embraces human life and influences human activities. However, current environmental challenges such as pollution and climate change threaten the cosmic balance and the rights of future generations. The purposeful dimension of Islamic law provides a vision capable of protecting the environment by preserving the five necessities, which can only be achieved in a healthy environment. Sharia texts also emphasise the principle of stewardship and the cultivation of the earth, making environmental protection a trust and a legal responsibility. Environmental care is not limited to combating pollution, but also includes establishing social justice and preserving human dignity. With the decline of environmental awareness in the Arab and Islamic world, there is a need to invest in the objectives of Sharia law to establish a balanced environmental awareness that achieves development and preserves the rights of future generations. The research concluded with a set of findings, the most important of which are: protecting the environment is an extension of the objective of preserving life (from environmental hazards), preserving wealth (from wasting resources), preserving offspring (from harming future generations), and even preserving religion (because corruption on earth is contrary to servitude).

Keywords: objectives, environment, sustainability.

المقدمة

تشكل البيئة الإطار الشامل الذي يحتضن حياة الإنسان ويؤثر في مختلف مجالات نشاطه، إذ تمثل مصدرا للموارد ومجالا للتفاعل بينه وبين محيطه الطبيعي. غير أنّ ما يشهده العالم اليوم من أزمات بيئية متفاقمة، كالتلوث وتغير المناخ واستنزاف الموارد، يشكل تهديدا مباشرا للتوازن الكوني ولحقوق الأجيال القادمة في العيش ضمن بيئة سليمة، الأمر الذي جعل قضايا البيئة تحتل موقعا متقدما في الاهتمامات الفكرية والسياسية والفقهية المعاصرة.

وفي هذا الإطار، يبرز البعد المقاصدي للشريعة الإسلامية باعتباره مرجعية راسخة قادرة على تقديم حلول عميقة ومستدامة، إذ تقوم مقاصدها على حفظ الضروريات الخمس: الدين، النفس، العقل، النسل، والمال، وهي مقاصد لا يمكن تحقيقها إلا في ظل بيئة صحية ومتوازنة. فسلامة النفس والعقل والنسل والمال مشروطة بصفاء الهواء ونقاء الماء وصلاح الأرض، مما يجعل حماية البيئة جزءًا أصيلا من الواجبات الشرعية.

كما كرست النصوص الشرعية مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض، وأكدت على مسؤولية الإنسان في إصلاحها لا إفسادها، وهو ما ينسجم مع التصور المقاصدي الذي ينظر إلى البيئة بوصفها أمانة في يد الإنسان. ومن ثم فإن الربط بين مقاصد الحفظ والغايات الكلية للتنمية المستدامة يكشف عن توافق الشريعة الإسلامية مع التوجهات العالمية المعاصرة في حماية البيئة.

إن العناية بالبيئة لا تقتصر على حمايتها من أشكال التلوث المختلفة – مائيا وهوائيا وغذائيا ونوويا – بل تمتد لتشمل تهذيب السلوك الاجتماعي، وصون الحقوق الفردية والجماعية، وتحقيق العدالة

الاجتماعية والكرامة الإنسانية. غير أن مستوى الوعي البيئي في العالم العربي والإسلامي ما يزال متراجعا بشكل ملحوظ، سواء على الصعيد المادي أو الثقافي، وهو ما يشكل تهديدا مباشرا للإنسان في هذه المنطقة.

وعليه، تأتي هذه المداخلة والموسومة بعنوان: "حماية البيئة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية من حفظ الضروريات إلى تحقيق الاستدامة " لتسلط الضوء على سبل توظيف مقاصد الشريعة في ترسيخ وعي بيئي مسؤول، يوازن بين متطلبات التنمية وحاجات الإنسان الآنية، وبين حقوق الأجيال المقبلة في بيئة آمنة وسليمة، بما يحقق التكامل المنشود بين المرجعية الشرعية ومفهوم الاستدامة الكونية.

ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية التالية:كيف يمكن للمقاصد الشرعية أن توفر إطارا نظريا وعمليا لحماية البيئة في عصر تتفاقم فيه التحديات البيئية (التلوث، استنزاف الموارد، التغير المناخي) بما يضمن تنمية مستدامة متوازنة؟ وقد قسمت هذه المداخلة إلى ثلاثة محاور وخاتمة بها نتائج البحث.

المحور الأول :البيئة في التصور الشرعي: الأسس والقيم

1-الاستخلاف في الأرض ومسؤولية الإنسان تجاه الكون.

2-مفهوم التوازن والميزان الكوني (العدل البيئي).

3-النهي عن الإفساد والإسراف باعتبارهما مدخلين لتدهور البيئة.

المحور الثاني :حماية البيئة في ضوء الضروريات الخمس

1-حفظ النفس في صونها من التلوث والأمراض البيئية.

2-حفظ المال في حماية الموارد الطبيعية من الاستنزاف.

3-حفظ النسل في ضمان حق الأجيال القادمة في بيئة سليمة.

المحور الثالث :من المقاصد إلى الاستدامة: نحو رؤية مقاصدية للسياسات البيئية

1-الاستدامة كتجديد معاصر للمقاصد الشرعية.

2-إدماج قيم المقاصد في التشريعات والسياسات البيئية.

3-نحو وعي مجتمعي يسهم في التنمية المستدامة ويحفظ الأمانة البيئية.

المحور الأول :البيئة في التصور الشرعي:

تشكل البيئة في التصور الشرعي مجالا متكاملا يعكس علاقة الإنسان بخالقه ومحيطه، حيث تقوم على أسس الاستخلاف والتسخير والميزان. وتستند هذه الرؤية إلى قيم العدل والاعتدال والرحمة التي تنظّم تعامل الإنسان مع الطبيعة ومكوناتها. ومن ثم، فإن حماية البيئة ليست مسألة مادية فحسب، بل هي التزام شرعي وأخلاقي يندرج ضمن مقاصد الشريعة الكبرى.

1-مفهوم البيئة:

1-1 التعريف اللغوي للبيئة

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية: نجد أن البيئة تعني حالة الاستقرار والنزول، فيقول تبوأ مكانا أو منزلة، بمعنى حل ونزل وأقام[1]، ومن ذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم: **[وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ]** (يوسف، 56)، وقوله تعالى أيضا: **[وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ]** (الحشر، 9). ومنه فإن البيئة لغة هي النزول والحلول في المكان، ويمكن أن تطلق مجازا على المكان الذي يتخذه الإنسان مستقرا لنزوله وحلوله، أي على المنزل، الموطن، الموضع الذي يرجع إليه الإنسان فيتخذ فيه منزله وعيشه[2].

1-2- التعريف الاصطلاحي للبيئة

كما عرفت البيئة في الدراسات العلمية المعاصرة بمفاهيم عديدة بصورة تتميز بخصوصية الكيان الخاص، فرحم الأم يمثل بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة والمدرسة بيئة، والحي بيئة، ويمكن النظر إلى البيئة من خلال النشاطات البشرية المختلفة، كالبيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة المائية، البيئة الثقافية، والبيئة الاجتماعية[3]. وكل ما يحيط بالإنسان من عناصر أو ظروف أو أشياء أو أحداث تؤثر فيه سلبًا أو إيجابًا، فالبيئة- إذًا- منظومة متكاملة من المؤثرات المختلفة، التي تتفاعل مع بعضها البعض، وتتبادل عملية التأثير في أحوال بني الإنسان، فتخلق الفقر والغنى، والصحة والمرض، والتقدم والتخلف، والعلم والجهل، والخير والشر، والصلاح والفساد، وغير ذلك.

1-3-أهمية البيئة في المنظور الشرعي

لقد أولت الشريعة الإسلامية عناية بالغة بالبيئة من خلال سعيها إلى تحقيق الأمن البيئي والحفاظ على مختلف عناصرها ومكوناتها، وذلك عبر منظومة من الأحكام والتشريعات التي ألزم بها المسلمون،

---

[1]-الفيروزآبادي، القاموس المحيط، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1987، ص 43

[2]-ابن منظور، لسان العرب، ط3 بيروت: دارصادر ، 1414هـ، ج1ص 380، 382

[3]- إسماعيل نجم الدين زنكنه، القانون الإداري البيئي، ط1، بيروت:منشورات الحلبي الحقوقية، 2012، ص 26 .

حيث حثّت على عمارة الأرض وتنميتها، ولذلك وردت مجموعة من الأحاديث النبوية التي تلفت نظر المسلم إلى الاهتمام بغرس الأشجار، وعدم قطعها لغير مصلحة عامة، فقد رُبط الغرس والزرع بالأجر من الله والصدقة الجارية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة"[1]، وقد حرص الإسلام على النظافة، وجعل المحافظة عليها من الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان"[2]، فنظافة الثوب والبدن والمكان من علامات الإيمان. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبال في الماء الراكد، حيث قال صلى الله عليه وسلم قَال: "لا يُبُولَنْ أَحَدُكُمْ في الماءِ الدّائم الَذي لا يجرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فيها"[3]. كما أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وجد غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَذه فشكر اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"[4].

2-الاستخلاف في الأرض ومسؤولية الإنسان تجاه الكون.

الاستخلاف عن الله تعالى يقوم في جوهره على تمكين الإنسان من حرية التصرف في ذاته وفي الأرض، ضمن حدود ما أودع الله فيه من طاقات وقدرات محدودة. ويقتضي هذا الاستخلاف التزام ما أمر الله به من واجبات، واجتناب ما نهى عنه من محرمات ومفاسد[5].

فالاستخلاف الإنساني لا يخرج عن أحد مسارين: مسار يتوجه فيه الآدمي في حياته بجهدي الوحي المنزل من الله، المبلغ على يد رسله الأخيار، وهو -في هذه الحالة- يناسب أن نسميه استخلافاً إيمانياً. ومسار يقوم على أساس عقلي محض، وهو ما يناسب تسميته بالاستخلاف الوضعي.

وقد ذهب علال الفاسي إلى اعتبار عمارة الأرض مقصدا عاما للشريعة الإسلامية، فقال: "والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلِّفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع." الوضعي[6]. فربط عمارة الأرض بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بمختلف التكاليف الإسلامية في مجالاتها المادية والروحية.

أن الاستخلاف يتقوى بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، ويتراجع بالكفر، والشرك، والظلم، والفساد؛

---

[1]-أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج5ص 2239.

[2]- أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، ج1ص203.

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، ج 1ص 94

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن ج 2ص 874.

[5]- عبد السلام محمد الأحمر، استخلاف الانسان في الأرض بوصفه مقصدا عاما للقرآن والشريعة والحضارة، إسلامية المعرفة السنة23، العدد 89، 2017م

[6]-علال الفاسي، مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها، ط1المنصورة، دار الكلمة، 2014، ص 58-59.

ولذلك جاءت المنهجية القرآنية لتوافق بين الجانب النظري (العقل والفكر) والجانب التطبيقي (العمل)؛ حيث يعتبر جوهر العمران في القرآن الكريم وعي الإنسان حول سبب استخلافه في الأرض، أو أهمية وجوده فيها؛ مما يؤدي إلى تعزيز قواه العقلية والنفسية والبدنية نحو كيفية تطويره وتقدمه من أجل ممارسة خلافته في الأرض على النحو المذكور في القرآن الكريم، واستخدام الثروات التي أودعها الله تعالى لخدمة الإنسان؛ فهو مطالب باستغلال تلك الثروات بعلمه ومعرفته وتقدمه النظري والاستخدام الأمثل لقوته الإنتاجية، دون الإغفال عن الجانب المعنوي وقيم الروح والمادة، والذي يستطيع الإنسان من خلالها تحويل تلك الثروات والموارد الطبيعية إلى ما يخدم مجتمعه، وتزدهر من خلاله الدائرة الإنتاجية لمجتمعه الذي يعيش فيه. ولا يمكن ممارسة الفعل الاستعماري من غير مكوناته المتمثلة في الاستخلاف والتسخير؛ لذلك لا بد على الإنسان المستخلف أن يعمل وفق ما تقتضيه المنهجية القرآنية في قضيتي الاستخلاف والتسخير، وأن يعي مفهوم الاستخلاف، ويتعرف على ماهيته وحقيقته، ولا يغفل عن جوهر التسخير وأصله وأهدافه، التي ترمي إلى عمارة الأرض[1].

لقد ظل الاهتمام بالبيئة في جوانبها المختلفة، لا يمثل مصدر قلق للبشرية، لكن الحال تغير تماما بعد الثورة الصناعية والتكنولوجية التي أحدثت نُقْلة كبيرة في طريقة تعامل الإنسان مع ثروات الطبيعة ومواردها، وأدى الإسراف في استعمال هذه الموارد إلى استنزافها [2] وإفقار الحياة على هذه الأرض، وإحداث اختلال في الموازين الدقيقة للبنية الطبيعية للكرة الأرضية؛ حيث زادت حركة التصحُّر نتيجة إهمال الزراعة في السهول، وتوالت الفيضانات المدمِّرة بسبب قطْع الغابات في الجبال، واستخدمت المواد الكيميائية بصورة عشوائية، وأغرقت الموارد المائية الطبيعية بالفضلات البشرية والصناعية، فتلوث النطاق المائي، وتسربت السموم إلى باطن الأرض، فتضاءلت الثروة البحرية، واختلَّ توازن الكائنات المائية الحية في أجزاء كثيرة من البحار، كما أسهم نَفْثُ النِّفايات الغازية في الجو في زيادة نسبة السموم في الهواء، وتحولها إلى أمطار حارقة، أثرت في دورة الأمطار، فأصبح الجفاف بسببها أهم مشكلات عدد غير قليل من الأقطار[3].

3-العدالة البيئية

العدالة المناخية ليست مجرد قضية بيئية بحتة، بل هي مسألة اجتماعية وإنسانية تمس حقوق الإنسان ومبادئ المساواة. فهي تقوم على إدراك أن آثار التغير المناخي لا توزع بالتساوي؛ إذ تتحمل

---

[1]-مريم حسين محمد علي السادة، الاستخلاف وعلاقته بالعمران في القرآن الكريم، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات المجلد4، العدد44، 2023م، ص 354.

[2]- مروى خلخال، جمال الدين يخلف، أهمية البيئة من المنظور الإسلامي، مجلة قضايا فقهية واقتصادية معاصرة، المجلد 3، العدد1، السنة 2023م، ص 53.

[3]-محمّد قاسم المنسي، مقاصد الشريعة والإعلان العالمي لحماية البيئة https://al-furqan.com/

الفئات الضعيفة، كالدول الفقيرة والمجتمعات المهمشة، العبء الأكبر من تداعياته رغم مساهمتها الضئيلة في نشوء هذه الأزمة. ومن ثم، تصبح العدالة المناخية قضية أخلاقية في جوهرها، تستلزم تضافر الجهود الجماعية من الحكومات والشركات والمنظمات غير الحكومية والأفراد لمواجهتها بفعالية[1].

وتقوم العدالة البيئية في الشريعة الإسلامية على مجموعة من الأبعاد التي تعكس عمق الرؤية الشرعية في تنظيم علاقة الإنسان بمحيطه الطبيعي، بما يضمن استمرار الحياة في توازن واستقرار. ومن أبرز هذه الأبعاد حفظ حقوق الأجيال القادمة، حيث يرفض الإسلام كل أشكال الاستهلاك المفرط الذي يؤدي إلى استنزاف الموارد الطبيعية وترك الأرض خرابا، وذلك انسجاما مع مبدأ الاستدامة الذي يحفظ استمرار النعم وتداولها بين الناس عبر الزمن.

كما يمتد مفهوم العدالة البيئية ليشمل حقوق الكائنات الأخرى، إذ لا يقتصر على الإنسان وحده، بل يشمل الحيوان والنبات والجماد، وقد جاءت النصوص النبوية لتؤكد هذا البعد من خلال النهي عن قطع الأشجار عبثًا أو الإضرار بها، والتحذير من تعذيب الحيوان أو تحميله ما لا يطيق، مما يدل على أن العدالة في الرؤية الإسلامية ذات طابع كوني شامل. وإلى جانب ذلك، يبرز بعد ثالث يتمثل في وجوب توزيع الموارد بعدل، حيث يُمنع الاحتكار المائي أو الاستغلال غير المشروع للأراضي والثروات بما يحرم الجماعة من حقوقها الطبيعية، وهو ما يعكس التلازم بين العدالة الاجتماعية والعدالة البيئية في التصور الإسلامي.

وبذلك يتضح أن الشريعة تسعى إلى إرساء نظام بيئي متوازن يراعي مصلحة الإنسان ومصلحة غيره من المخلوقات، في إطار من التكامل والانسجام الذي يحقق مقاصد الاستخلاف والإعمار في الأرض[2].

4-النهي عن الإفساد والإسراف باعتبارهما مدخلين لتدهور البيئة.

أضحى الفساد معضلة عالمية في عصرنا، إذ تفشى خطره حتى غدا ظاهرة تعاني منها مختلف الدول، مما جعله مصدر قلق كبير للمجتمع الدولي، لما يسببه من عرقلة لبرامج التنمية وإضرار بالمصلحة العامة للشعوب، فضلا عن تقويضه أسس الحكم الرشيد وتشويهه للسياسات العامة.

وفي التصور الإسلامي، يعد الفساد والإسراف من أبرز العوامل المساهمة في تدهور البيئة، لارتباطهما الوثيق بغياب الوعي برسالة الاستخلاف وواجب عمارة الأرض.

---

[1]-مهني وردة، تحقيق العدالة البيئية في إطار تحقيق التنمية المستدامة مجلة تنمية الموارد البشرية العدد2 المجلد 16 سنة 2021م ص348. هنا فهمي أحمد عيسى، حماية الشريعة الاسلامية للبيئة الطبيعية، دراسة فقهية مقارنة، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا المجلد33عدد01 السنة 2018ص 286وما بعدها

[2]-محمّد قاسم المنسي، مقاصد الشريعة والإعلان العالمي لحماية البيئة https://al-furqan.com/

فالفساد في الأرض، كما صوّره القرآن الكريم، لا يقتصر على الفساد الأخلاقي أو الاجتماعي فحسب، بل يشمل كذلك الاعتداء على الموارد الطبيعية والإضرار بمكونات البيئة، وهو ما يتجلى في صور متعددة كتلويث الهواء والمياه، وقطع الغابات، والصيد الجائر، والتوسع العمراني غير المدروس.

أما الإسراف، فهو الوجه الآخر للاختلال البيئي، حيث يؤدي الاستهلاك المفرط للموارد دون ضوابط إلى استنزافها وإفقار الأجيال المقبلة من حقها في الانتفاع بها. وقد نهى القرآن الكريم عن هذا السلوك صراحة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (الأنعام: 141)، مما يدل على أن ضبط الاستهلاك شرط لتحقيق التوازن البيئي[1].

فاستنزاف الموارد البيئية يؤدي إلى تقليل قيمة الموارد الطبيعية أو اختفائه عن أداء دوره العادي في شبكة الحياة والغذاء، ولا تكمن خطورة استنزاف المورد فقط عند اختفائه أو التقليل من قيمته. وإنما الأخطر من كل هذا تأثير الاستنزاف على توازن النظام البيئي والذي ينتج عنه أخطار غير مباشرة بالغة الخطورة، لأن استنزاف مورد من الموارد قد يتعدى أثره إلى بقية الموارد الأخرى، ومن هنا تتسع دائرة المشكلة البيئية وتتداخل محليا وعالمياً.

إن تلازم الفساد والإسراف يؤدي بالضرورة إلى فقدان العدالة البيئية، إذ تنتشر الممارسات الأنانية التي تقدّم المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية، فيترتب عنها اختلال التوازن الذي أودعه الله في الكون. ومن هنا، اعتبرت الشريعة محاربة الفساد والإسراف مدخلًا أساسيًا للحفاظ على البيئة وتحقيق مقاصدها الكبرى، وفي مقدمتها حفظ النفس والنسل والمال[2].

المحور الثاني :حماية البيئة في ضوء الضروريات الخمس

يراد بالمقاصد الضرورية في اصطلاح –علماء الأصول والمقاصد–، المصالح الأساسية الضرورية، التي هي عماد الدين والدنيا. وتتمثل في: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وقد عرفها الشاطبي بقوله: " فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا, بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم،

---

[1]– محمد أحمد الخضي، نواف أحمد سمارة، القيم البيئية من منظور إسلامي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد9، العدد2، السنة 2009م.ص 77.

[2]–سمير شعبان، ظاهرة الفساد من منظور إسلامي المفهوم والرؤية العلاجية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد3، العدد5، السنة 2011م، ص 76.

والرجوع بالخسران المبين"[1]. وأما ابن عاشور فأوضحها بقوله: "فالمصالح الضرورية هي التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها، بحيث لا يستقيم النظام باختلالها, فإذا انخرمت تؤول حالة الأمة إلى فساد وتلاش. ولست أعني باختلال نظام الأمة هلاكها واضمحلالها، لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم في الوثنية والهمجية، ولكني أعني به أن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام، بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها"[2].

وتشكل الضروريات الخمس في مقاصد الشريعة الإطار الكلي الذي تنتظم فيه كل الأحكام والتشريعات، وهي لا تنفصل عن البعد البيئي باعتباره أساسًا لاستمرار الحياة. فحماية البيئة تعد شرطا جوهريا لتحقيق هذه الضروريات، إذ لا يمكن حفظ النفس أو المال أو النسل في ظل بيئة ملوثة ومورد مستنزف. ومن ثمّ، فإن العناية بالبيئة ليست خيارًا ثانويًا بل واجبًا شرعيًا يندرج ضمن صميم مقاصد الشريعة.

1-حفظ النفس بصونها من التلوث والأمراض البيئية:

يعتبر حفظ النفس أحد أهم الضروريات التي جاءت الشريعة الإسلامية لصيانتها، وهو لا يتحقق إلا في ظل بيئة سليمة وآمنة. فالنفس البشرية تتأثر مباشرة بعوامل التلوث البيئي، سواء في الهواء أو الماء أو الغذاء، مما يؤدي إلى انتشار الأمراض والأوبئة التي تهدد حياة الإنسان وتضعف قدرته على الإعمار والاستخلاف.

ومن هنا، كان واجب حماية البيئة جزءا لا يتجزأ من مقاصد حفظ النفس، إذ يضمن الوقاية من المخاطر الصحية الناتجة عن النفايات، والانبعاثات الضارة، وتدهور النظام البيئي. وقد أكد الإسلام على مبدأ الوقاية قبل العلاج، فنهى عن تلويث الموارد الطبيعية والإضرار بها لما لذلك من أثر مباشر على صحة الأفراد والمجتمعات.

كما أن صون النفس من الأمراض البيئية يعزز العدالة الصحية والاجتماعية، بحيث يتمتع الجميع بحقهم في حياة صحية كريمة. وبذلك يظهر أن حفظ النفس في المنظور المقاصدي لا يقتصر على دفع القتل أو الاعتداء المباشر، بل يمتد ليشمل حماية الإنسان من كل تهديد بيئي يعوق استمرارية حياته وجودتها[3].

---

[1]-الشاطبي الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1997، 8/2.

[2]-مقاصد الشريعة، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2004م، ص 300.

[3]- إبراهيم البيومي غانم، مقصد حفظ النفس في فقه المياه، تمرين في نقد الأمثال الشارحة وتجديدها في الدرس المقاصدي "مجلة التفاهم، (دون ذكر معلومات)، ص219ومابعدها.

2-حفظ المال بحماية الموارد الطبيعية من الاستنزاف.

إن حماية الموارد الطبيعية من الاستنزاف المفرط، هي إحدى القضايا الجوهرية التي أولتها الشريعة الإسلامية عناية بالغة، إذ ترتبط هذه الموارد ارتباطا وثيقا باستمرار الحياة الإنسانية وتحقيق مصالحها الضرورية والحاجية والتحسينية.

فالقرآن الكريم يقرر مبدأ التسخير بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ (البقرة:28)، غير أن هذا التسخير ليس مطلقا بلا قيد، بل محكوم بضابط الاستخلاف[1] الذي يقتضي حسن الاستعمال واجتناب الإفساد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (هود:61)

ومن هذا المنطلق، فإن الاستنزاف الجائر للمياه، أو الغابات، أو الأراضي الزراعية، أو الثروات المعدنية يعد إخلالا بمقاصد الشريعة في حفظ المال والنسل، ويؤدي إلى تهديد التوازن البيئي والحقوق المشتركة للأجيال القادمة. وقد أكدت السنة النبوية هذا المبدأ حين نهت عن الإسراف في استعمال الماء حتى في حال الطهارة، لتغرس في الوعي المسلم ثقافة ترشيد الاستهلاك ومراعاة المصلحة العامة. وعليه، فإن حماية الموارد الطبيعية لا تقتصر على كونها مطلبًا بيئيا أو اقتصاديا، بل تتجاوز ذلك لتكون واجبا شرعيا وأخلاقيا، يسهم في ضمان استدامة النعم، وتحقيق العدالة بين الأجيال، وصيانة حق الإنسان في العيش في بيئة متوازنة. ومن ثمّ فإن مقاربة قضية الاستنزاف في ضوء مقاصد الشريعة يكشف عن وعي مبكر بأهمية التنمية المستدامة، ويؤسس لرؤية حضارية تجعل من الإنسان مستخلفًا مسؤولًا، لا مستهلكًا مفرطًا، وبذلك تتحقق العدالة البيئية والاجتماعية بين الحاضر والمستقبل.[2]

3-حفظ النسل بضمان حق الأجيال القادمة في بيئة سليمة.

من الركائز الجوهرية للعدالة البيئية في الشريعة الإسلامية، ضمان حق الأجيال القادمة في بيئة سليمة. إذ إن الإنسان مستخلف في الأرض لا مالكا مطلقا لها، وهو مسؤول عن عمارتها والمحافظة عليها.

فالبيئة بما تحويه من موارد طبيعية ليست ملكا لجيل بعينه، بل هي أمانة مشتركة تتوارثها الأجيال المتعاقبة. واستنزاف هذه الموارد أو تلويثها يعد نوعا من الظلم، لأنه يحرم الأجيال المقبلة من حقها المشروع في التمتع بخيرات الله. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعيار بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن:10)، أي لجميع البشر عبر الزمان والمكان.

---

[1]– محمد أحمين، مقاصد الأموال في القرآن رؤية تأسيسية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي https://al-furqan.com/

[2]–فخري صبري محمد راضي، حماية الموارد الطبيعية في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الانساني في وقت النزاعات، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 10، العدد01السنة 2021ص 200.

كما أن مقاصد الشريعة، وخاصة حفظ النفس والنسل والمال، لا يمكن أن تتحقق في ظل بيئة ملوثة أو موارد منهكة. ولهذا جاءت التوجيهات النبوية لترسيخ ثقافة الترشيد، حتى في أبسط صور الاستهلاك كالماء عند الوضوء.

إن مسؤولية الجيل الحاضر تتجاوز حدود مصالحه الآنية إلى مراعاة مصالح من يأتي بعده، وذلك بترشيد الاستغلال، ووضع سياسات بيئية عادلة، وضمان استدامة الموارد. وبهذا يتحقق العدل بين الأجيال، وتترسخ رسالة الشريعة الإسلامية في حفظ التوازن الكوني وصيانة الحياة الإنسانية من الفناء والاضطراب.

- **المحور الثالث :من المقاصد إلى الاستدامة: نحو رؤية مقاصدية للسياسات البيئية**

يشهد العالم اليوم تحديات بيئية متزايدة تستدعي مقاربات شمولية تتجاوز الحلول التقنية إلى الرؤى القيمية والأخلاقية. ومن هذا المنطلق، تبرز مقاصد الشريعة باعتبارها إطارا معياريا يمكن أن يوجه السياسات البيئية نحو تحقيق التوازن بين حاجات الإنسان ومتطلبات الطبيعة. فالانتقال من المقاصد إلى الاستدامة يعكس رؤية حضارية تؤسس لسياسات بيئية عادلة وفاعلة.

1-الاستدامة كتجديد معاصر للمقاصد الشرعية.

تُعَدُّ الاستدامة في الفكر المعاصر من أهم المفاهيم التي تسعى إلى ضمان استمرار الموارد الطبيعية وحمايتها من الاستنزاف، بما يحقق التوازن بين حاجات الحاضر وحقوق المستقبل. وهذا المفهوم يجد جذوره بوضوح في مقاصد الشريعة الإسلامية، التي جاءت لحفظ الضروريات الخمس وصيانة مصالح العباد عبر الأزمان.

فالمقاصد لا تقف عند حدود الاستجابة لاحتياجات آنية، بل تمتد إلى ضمان بقاء المنافع واستمرارها في إطار من العدل والاعتدال. وإذا كانت الاستدامة اليوم تُطرَح كإستراتيجية تنموية شاملة، فإنها في جوهرها تجسيد عملي لمبدأ الاستخلاف الذي حمّل الإنسان مسؤولية العمران والإصلاح.

ومن هنا، يمكن اعتبار الاستدامة تجديدا معاصرا للمقاصد، لأنها تعيد قراءة مقاصد الحفظ والرعاية في ضوء التحديات البيئية الراهنة. كما أن ترشيد الاستهلاك، وحماية الموارد، وضمان حق الأجيال القادمة، كلها مبادئ مقاصدية قبل أن تكون سياسات بيئية حديثة.

وبذلك، فإن تفعيل الاستدامة في عالم اليوم يمثل استمرارًا لروح الشريعة في صيانة الكون، ويجسد البعد الكوني للمقاصد بوصفها منظومة قادرة على استيعاب المتغيرات. إن هذا التلاقي بين المقاصد

والاستدامة يفتح آفاقا جديدة لصياغة سياسات بيئية رصينة، تحقق التوازن بين التنمية والحفاظ على

البيئة، وتؤكد في الوقت ذاته عالمية الرؤية الإسلامية في إدارة شؤون الحياة[1].

2- إدماج القيم المقاصدية في التشريعات والسياسات البيئية.

إن إدماج قيم المقاصد في التشريعات والسياسات البيئية يمثل خطوة ضرورية لإيجاد منظومة قانونية وأخلاقية متكاملة تستجيب للتحديات المعاصرة. فالمقاصد الشرعية بما تحمله من مبادئ كلية، مثل حفظ النفس والنسل والمال، توفر إطارا معياريا يمكن أن يوجه المشرع وصانع القرار نحو حماية البيئة وصون مواردها. فعلى سبيل المثال، يقتضي مقصد حفظ النفس سنّ قوانين صارمة تحدّ من التلوث الذي يهدد الصحة العامة، بينما يدعو مقصد حفظ المال إلى حماية الثروات الطبيعية من الاستنزاف والإهدار. كما أن مقصد حفظ النسل يفرض تبني سياسات تضمن حق الأجيال القادمة في بيئة نظيفة ومستدامة.

إن إدماج هذه القيم في التشريعات لا يعني مجرد استلهام عام، بل يتطلب وضع آليات عملية مثل تشجيع الوقف البيئي، وإقرار نظام للزكاة يساهم في تمويل مشروعات بيئية، إضافة إلى سن قوانين رادعة ضد الإفساد والإسراف. ومن خلال ذلك، تتحول السياسات البيئية من مجرد خطط تقنية إلى سياسات ذات بعد قيمي ومقاصدي، تحقق العدالة بين الأجيال وترسّخ المسؤولية الجماعية عن حماية الكون. وبهذا يصبح التشريع البيئي انعكاسا حيا لروح الشريعة، التي لا تفصل بين مصلحة الإنسان ومصلحة البيئة، بل توحِّدهما في رؤية حضارية جامعة[2].

3-نحو وعي مجتمعي يسهم في التنمية المستدامة ويحفظ الأمانة البيئية.

يمثل الوعي المجتمعي حجر الأساس في أي مشروع يهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة وصيانة البيئة، إذ لا يمكن للتشريعات والسياسات وحدها أن تؤدي دورها ما لم تجد حاضنة اجتماعية تدرك قيمتها وتلتزم بها. فالإنسان في المنظور الإسلامي ليس فردا معزولا، بل هو جزء من جماعة وأمة، تقع على عاتقه مسؤولية الاستخلاف وإعمار الأرض وفق مبادئ العدل والاعتدال.

ومن هنا، فإن بناء وعي بيئي يقوم على القيم المقاصدية يرسخ فكرة أن حماية البيئة ليست خيارا ترفيا، بل هي واجب شرعي وأمانة ملقاة في عنق كل فرد. هذا الوعي يتجلى في سلوكيات يومية بسيطة، كترشيد استهلاك الماء والطاقة، والحفاظ على نظافة الفضاءات العامة، واحترام حقوق الكائنات الأخرى. كما يمتد ليشمل المشاركة الفاعلة في المبادرات الجماعية، كحملات التشجير وإعادة التدوير والعمل التطوعي لحماية المحيط.

---

[1]-أنظر: جابر عيد الوندة، موقف الشريعة الإسلامية من الاستدامة البيئية دراسة تحليلية علمية، مجلة العمارة والفنون، المجلد4، العدد14، السنة 2019م ص 167-168.

[2]-أنظر: فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2020م، ص 159 ومابعدها.

ولتحقيق ذلك، ينبغي أن تلعب مؤسسات التعليم والإعلام دورا محوريا في نشر الثقافة البيئية وربطها بالبعد الديني والأخلاقي، بحيث ينشأ جيل يدرك أن المحافظة على البيئة تعني في جوهرها المحافظة على الحياة والإنسان. ولا يقل دور الأسرة أهمية في هذا المجال، إذ تشكّل المدرسة الأولى التي تغرس قيم المسؤولية البيئية في نفوس الأبناء. ومن خلال هذا التراكم الوجداني والمعرفي، يتكوّن وعي جماعي يضمن استدامة الموارد ويحفظ حق الأجيال القادمة، ويحوّل التنمية المستدامة من مجرد شعارات إلى ممارسة عملية راسخة. وهكذا يصبح المجتمع شريكا حقيقيا في تحقيق التوازن الكوني[1]، ويؤدي رسالته في حفظ الأمانة التي حمّله الله إياها: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (الأحزاب 72)

نتائج البحث

انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

- مقاصد الشريعة لا تقتصر على حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، بل تشمل أيضًا حفظ الكون بما فيه من موارد وأحياء، لأن ذلك يدخل ضمن الضروريات التي يقوم عليها العمران البشري.
- حماية البيئة امتداد لمقصد **حفظ النفس** (من الأخطار البيئية)، و**حفظ المال** (من إهدار الموارد)، و**حفظ النسل** (من الإضرار بحق الأجيال القادمة)، بل وحتى **حفظ الدين** لأن الفساد في الأرض منافٍ للعبودية.
- يمكن النظر إلى الاستدامة على أنها تفعيل مقاصدي معاصر :أي ضمان الانتفاع بالموارد دون استنزافها، بما يحقق العدل بين الأجيال.

[1]-أعادل محمد مبروك، نجلاء عبد المنعم إبراهيم، التنمية الإسلامية من منظور إسلامي دمج الأخلاق والبيئة في مسار التقدم، المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية الإسلامية المتقدمة، المجلد 3العدد01، السنة2023م، ص87-88.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم البيومي غانم، مقصد حفظ النفس في فقه المياه، تمرين في نقد الأمثال الشارحة وتجديدها في الدرس المقاصدي " مجلة التفاهم، (دون ذكر معلومات)
2. إسماعيل نجم الدين زنكنه، القانون الإداري البيئي، ط1، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2012
3. جابر عيد الوندة، موقف الشريعة الإسلامية من الاستدامة البيئية دراسة تحليلية علمية، مجلة العمارة والفنون، المجلد4، العدد14، السنة 2019م.
4. سمير شعبان، ظاهرة الفساد من منظور إسلامي المفهوم والرؤية العلاجية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد3، العدد5، السنة 2011م، ص 76.
5. الشاطبي الموافقات في أصول الشريعة، ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1997.
6. عبد السلام محمد الأحمر، استخلاف الانسان في الأرض بوصفه مقصدا عاما للقرآن والشريعة والحضارة، إسلامية المعرفة السنة23، العدد 89، 2017م
7. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها، ط1المنصورة، دار الكلمة، 2014.
8. فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2020م
9. فخري صبري محمد راضي، حماية الموارد الطبيعية في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الانساني في وقت النزاعات، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 10، العدد01السنة 2021م
10. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1987.
11. محمد أحمين، مقاصد الأموال في القرآن رؤية تأسيسية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي https://al-furqan.com
12. محمّد قاسم المنسي، مقاصد الشريعة والإعلان العالمي لحماية البيئةhttps://al-furqan.com
13. محمدأحمد الخضي، نواف أحمد سمارة، القيم البيئية من منظور إسلامي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد9، العدد2، السنة 2009م.
14. مروى خلخال، جمال الدين يخلف، أهمية البيئة من المنظور الإسلامي، مجلة قضايا فقهية واقتصادية معاصرة، المجلد 3العدد1، السنة 2023م
15. مريم حسين محمد علي السادة، الاستخلاف وعلاقته بالعمران في القرآن الكريم، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات المجلد4، العدد44، 2023م.
16. مقاصد الشريعة، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2004م.

17. ابن منظور، لسان العرب، ط3 بيروت: دارصادر ، 1414هـ.
18. مهني وردة، تحقيق العدالة البيئية في إطار تحقيق التنمية المستدامة مجلة تنمية الموارد البشرية العدد2 المجلد 16 سنة 2021م.
19. هنا فهمي أحمد عيسى، حماية الشريعة الاسلامية للبيئة الطبيعية، دراسة فقهية مقارنة، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، المجلد33، عدد01 ، السنة 2018.